مكتبة الطفل لجيل الخلافة

من صاحب القراءة؟

بقلم رزنة صالح

فِي رُكْنٍ هَادِئٍ مِنْ فَصْلِ التَّحْفِيظِ، كَانَتْ فَتَاةٌ صَغِيرَةٌ اسْمُهَا "حفصة" تَجْلِسُ وَيَدَاهَا عَلَى حِجْرِهَا، وَعَيْنَاهَا تَتَحَرَّكَانِ بَيْنَ الْمُصْحَفِ وَمُعَلِّمَةِ الْفَصْلِ، كَأَنَّ فِي صَدْرِهَا سُؤَالًا حَائِرًا يَبْحَثُ عَنْ جَوَابٍ.

رَفَعَتْ يَدَهَا بِتَرَدُّدٍ، وَقَالَتْ بِصَوْتٍ خَافِتٍ:
"يَا أُسْتَاذَةُ... هَلْ عَاصِمٌ وَنَافِعٌ وَحَفْصٌ هُمْ الَّذِينَ اخْتَرَعُوا قِرَاءَاتِهِمْ؟ يَعْنِي هُمْ أَلَّفُوا طَرِيقَةَ الْقِرَاءَةِ؟"

ابْتَسَمْتُ لَهَا بِلُطْفٍ، وَقُلْتُ: "تَعَالَي اجْلِسِي قُرْبِي."
ثُمَّ نَادَيْتُ بَقِيَّةَ الْبَنَاتِ لِيَقْتَرِبْنَ.

اقْتَرَبَتِ الصَّغِيرَاتُ بِفُضُولٍ، وَجَلَسْنَ فِي حَلْقَةٍ صَغِيرَةٍ حَوْلِي.

قُلْتُ لَهُنَّ:

"تَخَيَّلْنَ أَنَّنَا نَحْمِلُ الْيَوْمَ قَارُورَةَ مَاءٍ... مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ؟"

قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ بِسُرْعَةٍ:

- مِنَ النَّبْعِ!

- أَحْسَنْتِ! لَكِنْ قَبْلَ أَنْ تَصِلَنَا هَذِهِ الْقَارُورَةُ، مَرَّتْ مِنْ قَنَوَاتٍ، ثُمَّ أَنَابِيبَ، ثُمَّ وُضِعَتْ فِي الْقَارُورَةِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا الْآنَ.

وَهَكَذَا تَمَامًا جَاءَتِ الْقِرَاءَاتُ إِلَيْنَا.

رَفَعَتْ "حفصة" حَاجِبَيْهَا بِدَهْشَةٍ، وَأَنَا أُتَابِعُ:
"عَاصِمٌ، وَنَافِعٌ، وَحَفْصٌ... لَمْ يَخْتَرِعُوا شَيْئًا. هُمْ فَقَطْ حَمَلُوا لَنَا الْمَاءَ الصَّافِيَ مِنْ نَبْعِ النُّبُوَّةِ."
سَادَ صَمْتٌ فِي الْمَكَانِ، وَالْعُيُونُ الصَّغِيرَةُ تَلْمَعُ بِتَرْكِيزٍ.
قُلْتُ:
"الْقُرْآنُ نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ سَمِعَهُ مِنْهُ الصَّحَابَةُ، ثُمَّ التَّابِعُونَ، ثُمَّ جَاءَ الْقُرَّاءُ الْكِبَارُ مِثْلَ عَاصِمٍ وَنَافِعٍ.
كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَازَمَ قِرَاءَةً مُعَيَّنَةً، دَاوَمَ عَلَيْهَا وَعَلَّمَهَا، حَتَّى صَارَ يُقَالُ: هَذِهِ قِرَاءَةُ عَاصِمٍ، وَهَذِهِ قِرَاءَةُ نَافِعٍ."

رَفَعَتِ الْفَتَاةُ الصَّغِيرَةُ يَدَهَا مَرَّةً أُخْرَى وَقَالَتْ بِسَعَادَةٍ:
"يَعْنِي... هُمْ مَا اخْتَرَعُوا، بَلْ كَانُوا مِثْلَ جِسْرٍ!"

ضَحِكْتُ بِحُبٍّ وَقُلْتُ:

"أَحْسَنْتِ يَا "حفصة"! هُمْ جِسْرٌ، وَنُسَمِّي طَرِيقَتَهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ بِأَسْمَائِهِمْ فَقَطْ لِأَنَّهُمْ دَاوَمُوا عَلَيْهَا، وَرَدَّدُوهَا، وَعَلَّمُوهَا النَّاسَ.

مَا كَانَتْ مِنْ عِنْدِهِمْ، بَلْ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ."

ابْتَسَمَتِ الْبَنَاتُ، وَقَالَتْ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ:

"وَأَنَا سَأَكُونُ جِسْرًا جَمِيلًا مِثْلَهُمْ، وَأَحْمِلُ الْقُرْآنَ لِغَيْرِي."

رَبَّتُّ عَلَى رَأْسِهَا، وَقُلْتُ:

- نَعَمْ، كُونِي جِسْرًا يَصِلُ مِنْ قَلْبِكِ إِلَى قُلُوبِ النَّاسِ، لِيَحْمِلَ إِلَيْهِمْ رِسَالَةَ اللهِ.

مكتبة الطفل لجيل الخلافة